أقصوصة من « أندرسن » القصصي الدانمركي

الأمـــير الراعي ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

عرف عزّ الملك وهو في رفاغة شبابه ونعومة إهابه ، وأشرق نور النعيم في وجهه ، وهو يتقلب على مفارش الحرير وتضائد الديباج ، وضاحك الحسان النواعم بين ضمائم العشب ولفائف الأزهار ، وخلب قلوب الفتيات ، فحلمن به كلما طفن في الندو والرواح بهذا القصر الهادئ حيث يرتع الحب ويرف السعد ويتوهج التضار

على أنه لم ينعم وا أسفاه طويلاً بالحب والجاه ، ولم يذق هنيئاً طعم اللذاذات ... فقد مات الأب الكهل ، فتولى المال على مهل وأصابته جفوة الزمان ، فعزف عنه الإخوان ... وأضحى وحيداً في قصره الخالي الكئيب ...

وكان يعلم أن على بعد مائة فرسخ من قصره أميرة رائعة الجمال فحن صبابة إلى لقياها، وأراد أن تكون معينة له على بؤسه، وشريكة له في عيشه . فأرسل إليها ذات يوم وردة نبتت على قبر أبيه تتفتح مرة في العام فتنشر شذاها فيتضوع في الأجواء ثمانية أيام ، يفهم الناس خلالها فينسى الكئيب شجوه والمحزون بلواه ... !

وكان في روضة الأمير عندليب يردد النشيد المعهود في الأسحار فينبه النوّم ويوقظ الوسنان . فأرسل به إلى الأميرة ليشفع له ، فيحظى بالعطف وينال الرضى

فلما وصلت الصناديق إلى الأميرة ، وقد حُلي ظاهرها بالذهب وفوّق باطنها بالخز ، أصابتها هِزّة الفرح فتمايلت طرباً وقالت لوصائفها :

— لئن حسنت الهدية فوالله لأتزوجن المهدى ... !

وفُتح الصندوق الأول ففاح العبير وسكرت الوصائف وقلن للأميرة : « ما هذا أيتها الأميرة من عبير الورد في الأرض ... إن هو إلا من عبير الجنان ... ! »

فقالت لهن الأميرة :

— أهي من ورد الطبيعة ؟

فقالت وصيفة منهن :

— نعم يا أميرتي .!

فأطرقت الأميرة . ثم قالت :

— أواه ..! يا نعس حظي ... ستذبل أوراقها عند المساء ، فتطأها الأقدام عند الصباح .. خذوها، فما أطيق رؤية الجمال يذبل

وفتح الصندوق الثاني ...

فقد أصبحنا وكأننا كنا نسير طوال هذا الزمن سيراً عكسياً متخلفين عن كل حركة إصلاح وحياة .. فثقافتنا أصبحت عما كانت، وموسيقانا أصبحت ترديداً للموسيقى الأوربية التي لا توافق ميولنا ، ولا تتفق وخوالجنا ، وقد وصل عجزنا في هذا إلى درجة أصبح فيها كل من يخلط ويمزج الموسيقى المصرية بالموسيقى الأوربية يسمى مجدداً

أصبح كل من يضرب الروبا ، والتانجو ، والكاريوكا ، والفالس ... الخ يعتقد أنه أتى بما لم تأت به الأوائل والأواخر

أصبحنا لا نملك إلا الذكريات ، ولا نفخر إلا بالذكريات ، ولا نعمل ولا نتقدم ولا نسعى إلا اعتماداً على الذكريات ... ويا ويل لشعب لا يعيش إلا على الذكريات !

محمد السيد المرسي

جميع الصور منقولة من كتاب موسيقى قدماء المصريين تأليف الدكتور محمود أحمد الحفني

٦٨ ٥ ١٢

وصدح العندليب بأعذب أنغامه فأذهلت السامعين ، وتهامست الوصائف ، وقالت الأميرة :

— ما هذا ؟ ... صوت مسكر ... ساحر ... غريب ... ! أرأيتن يا صواحبي ... مثل هذا الطير قبل هذا اليوم ... ؟

فأجبنها : كلا ...

وقال شيخ من رجال القصر :

— لشد ما يذكرني هذا العندليب يا أميرتي ، بمعزف الملكة السحرى الذى كان بالقصر فى ماضيات أيامى . فله رنين صوته ، ورخامة نغمه ...!

فانهلت العيون تذرف الدمع لذكرى الملكة الراحلة ... ثم قالت الأميرة :

— ترى أهو حى ... أم ميت ... ضموه فى الحديد ... ؟

فأجابتها وصيفة معربة :

— كلا يا أميرتى ... إن الحياة تسمع من صوته الجميل ... أنظرى إليه يا أميرتى ...

فأطرقت الأميرة وقالت :

— دعوه يطير بين الزهر والشجر ... وينتقل بين الأهاضيب والرياض ... فما أريد أن أنست إلى أنغامه تتلاشى ... غداً إذا مات ... أما الأمير الذى أرسل الهدية ... فاطردوه !

* * *

وعرض الأمير إلى رؤية الأميرة ... ففكر وقدر . وإذابه يترك قصره ذات يوم ، وقد خلع ما فخر من الثياب ، وارتدى ما سخف منها ... ويذهب إلى قصر الأميرة ، وبيده ناى ... يطلب أن يكون راعياً لشاء الملك .

وأدخله الملك فى خدمه ، ومنحه قليدة من ذهب كتب عليها : « راعى القصر الملكى »

وكان يسوق الشاء إلى المراعى التى تحف بالقصر ... فإذا جن الكلأ بطونها ... عاد بها ، وهو ينظر إلى نافذة الأميرة . علّه يرى وجهها الصبيح ...

واستيقظ أهل القصر ذات يوم ... وإذا بأنغام رخيمة تتعالى من كوخ الراعى . فطربت الأميرة لها ... وأرسلت الوصائف ليفتشن عن مصدر النغمات ... فإذا بهن يجدن الراعى فى كوخه الصغير ... أمام قدر علق فى غطائها أجراساً صغيرة ، وملأها ماء ، ثم سلط عليها النار . فإذا بالماء يغلى ... فيدفع بالغطاء إلى أعلى ... وإذا بالجلاجل تتذبذب فترسل الأنغام ... !

وأخبرت الوصائف الأميرة بما رأينه وسمعنه — وزين هذه القدر للأميرة ، فأنت إلى الكوخ ، تتبعها الوصائف ... لترى القدر المسحورة ... !

وما كادت تسمع النغم ... حتى سفق قلبها له — وقالت :

— ما أشبه هذا النغم بالنغم الذى عزفته بالأمس على البيان . إذهبى يا لينورا ، وسليه أن يبيعنا هذه القدر وتلك الجلاجل ...

وأنت الوصيفة إلى الراعى فقالت له :

— هل تبيع هذه القدر أيها الراعى ... ؟

قال لها وقد ضحك :

— نعم ... أبيعها ...

فقالت له :

— حسن . . وكم تريد ثمناً لها ... ؟

— عشر قبلات ... من الأميرة ... !

— ويل لك ... ماذا تقول ... أمجنون أنت ؟ ... أم ...

— القدر قدرى ... والجلاجل جلاجل ... وهذا ما أريد ... !

وعادت الوصيفة إلى الأميرة خائبة ... قالت لها :

— ماذا طلب منك ؟ ...

— ... ...

— تكلمى يا لينورا ... تكلمى ...

— لا أجرؤ يا أميرتى ... إنه مجنون

— وماذا قال لك ... ؟

وعادت القدر إلى إرسال النغمات فطربت الأميرة مرة أخرى وقالت :

— هيا ... تكلمى ... تعالى واهمسى فى أذنى ...

— قال إنه يريد عشر قبلات من مولاتى الأميرة ثمناً للقدر.

فصاحت الأميرة :

— يا للوقح ... يا للسافل ... !

وغضبت ، وأخذت تقطع الحديقة جيئة وذهوباً ، ولكن .. ماذا تفعل ؟ ها هى ذى القدر تعود إلى إرسال النغمات ، وها هو ذا قلبها يعود فيضطرب ويثور

ووقفت هنيهة ... ثم قالت لوصيفتها :

— إذهبى إليه ... وسليه إن كان يقبل أخذ الثمن منكن

وذهبت الوصيفة إليه ثم عادت خائبة ...

عندئذ قالت الأميرة :

— لا بُدّ مما ليس منه بد ... أحضروه ... ورحطن بي لكيلا يراني أحد ...

وحفّت الوصائف بالأميرة ... وأقبل الراعي .. فقبلها عشر قبلات .. فيها الخمر والعسل المصفى .. وأعطاها القدر والجلاجل

يا فرحتها آنئذ ... لقد قضت يومها أمام القدر كلما نضب ماؤها ... ملأتها والوصائف حولها يرقصن ويضربن الأكف بالأكف ...

وأقبل الليل . وانصرفت الوصائف ... وقالت لهن الأميرة :

— إيّاكن أن تخبرن أحداً ... بما دفعته ثمناً للقدر ... !

وقال الأمير الراعي لنفسه وهو ينصت إلى سلاة الليل :

— لقد حطمت كبرياءها يا نفس ... وعرفت ما يثريها ... فلن تجزعي بعد اليوم ... ! »

* * *

وتجرمت أيام وليال ... وإذا بالراعي يبدع مزقاً ما طلبت نغماً إلا سمعته فيه . ومرت الأميرة بالحديقة ذات يوم ، فقالت لوصائفها :

— لنعدلن إلى هذا الراعي ، فلن نخلو من أعجوبة لديه ...

وما كادت تقرب الكوخ حتى سمعت نغمات مشجية وسمعت الراعي يغني فنادت وصائفها وقالت لهن :

— إذهبن إليه وسلنه عما يريده ثمناً لمزقه ... ولكن ... إحذرن ... فلا قبلات ولا عناق ... !

وانطلقت إحداهن إليه فسألته ، ثم عادت كاسفة الوجه ، مضطربة التصور ... فسألتها الأميرة :

— ماذا طلب منك ؟

— إنه مجنون يا مولاتي ... إنه يريد مائة قبلة ... !

— آه ! ... ويلمه ... ! وقح ... !

وفكرت الأميرة ثم قالت :

— لا بأس ... عشر قبلات مني ... وما بقي فلنكن

ولكن الراعي أصر ولم يقبل ... عندئذ قالت : « احضروه ... فلن يرانا أحد »

مسكينة أيتها الأميرة ... فها هو ذا الملك يحدق فيك ... فإذا رأى ما رأى أقبل إلى الحديقة كالمجنون ... فيطرد الوصائف ... ويضرب الراعي ... ويقول لابنته :

— هيا .. خذيه واذهبي ... فلن ابقيكما في قصري بعد اليوم

وانطلق الراعي يمشي مع الأميرة على غير هدى ... في أرض لا تموج بالنبات ، ولا ترف بالندى ... يؤذيهما السحاب المتون ، وتفزعهما الريح العصوف

وتبكي الأميرة ذات يوم ، وهي في واد أغن تستجم ، وتقول للراعي : « لشد ما أنا بائسة ... لو أني قبلت الأمير زوجاً ... لكنت الآن في قصره ... ولكنه كان غير ... »

ولم يسمع ما قالته ... بل أسرع واختفى تحت الغصون ... فخلع ثوبه الممزق وارتدى ثوباً فاخراً كان معه ... وجاء إليها فقال:

— هأنذا أميرك الذي طلبت ... ولكني لن أخفض لك جناحي اليوم ... ولن أهب لك قلبي ... فإن نفسي تشمئز منك ... لم تقبلي الزوج الشريف ليكون شريكاً لك في حياتك ... هه ... لقد علوت يومئذ واستكبرت ، واحتقرت الوردة والعندليب . ، ولكنك انحططت وقبلت راعياً من أجل قدر ... !

وداعاً ... ! وداعاً ... فلن أراك بعد اليوم

وانطلق الأمير إلى قصره وحيداً

لقد لحقت به الأميرة ... وطرقت أبواب القصر ... وناديته ... ولكنه كان في شغل عنها ، كان يقول لنفسه : « لماذا أطلب الغناء ... ؟ لماذا أطلب الكبرياء ... ؟ ألا سحقاً لها ... شرف وفقر خير من مال وكبر ... أيها الحارس كن أصم ... أيتها الجدران كوني عمياء ... أيتها الأميرة حطمي كبرياءك وتعالي »

« دمشق » صدوع الدرب المجد

مؤلفات الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

١ البلاغة العالية في علم المنطق
أسلوب جديد في تدريسه لهذا العلم

٢ زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد
موازنة جديدة بينهما

٣ الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية
يبحث بحثاً مفصلاً لهذه المواريث وموازنات دقيقة بينها.

تطلب هذه الكتب من إدارة مجلة الرسالة بالقاهرة مع إضافة أجرة البريد إليها ومن مكتب المؤلف